دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، خريف ۱۳۹۷، العدد التاسع والثلاثون: صص **۹- ۲۲**

الدراسة حول صورة الحب والوطن عند عبدالوهاب البياتی وصلاح عبد الصبور

سکینه صارمی گروی *
سیدحسین سیدی **

تاریخ الوصول: ۹۶/۱۲/۱۷
تاریخ القبول: ۹۷/۵/۳۰

الملخص

الرومانسية هی ردة فعل علی التركيز علی العقل وميول إلی إبراز النفس الإنسانية باتجاه الخيال والماضی التاريخی وكذلک الأراضی المجهولة. من أهم أصول هذا المكتب الحرية والاتجاه إلی الطبيعة، الأحاسيس والإثارة، والسفر التاريخی والجغرافيايی. إن *عبدالوهاب البياتی*(۱۹۲۶- ۱۹۹۹) و*صلاح عبدالصبور*(۱۹۳۱- ۱۹۸۱). من أشهر وأقدر الشعراء العراقيين ومن الشعراء النجباء الرومانسيين وآثارهما يبرز فيها الوطن و العشق والإشتياق (البعد عن الوطن والحب وذكريات الطفولة). إن هذه المؤلفات تبين الحزن والغم فی أشعار *عبدالصبور* و*البياتی* وهذا البحث قائم علی عدة فرضيات: ۱. *عبدالوهاب البياتی* و*صلاح عبدالصبور* يلتزمان بالرومانسية المدنية. ۲. السفر الجغرافی والهرب من البيئة التی يتواجد فيها والشوق للوصول إلی وطنهما واضح فی آثارهما. الهدف من هذا البحث إيجاد طريقة استخدام أصول ومبانی مكتب الرومانسية وبيان وجوه الاختلاف والتشابه فی آثار *عبدالوهاب البياتی* و*صلاح عبدالصبور* باستخدام الأسلوب التحليلی والتوصيفی لإثبات هذه الفرضية.

الكلمات الدليلية: الشعر العربی، الرومانسية، البياتی، عبدالصبور.

* دكتوراه فی فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسی، مشهد. s.saremi66@yahoo.com.
** أستاذ فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسی، مشهد. seyedi@ferdowsi.um.ac.ir
الكاتبة المسؤولة: سكينه صارمی گروی

تعريف الموضوع

صفة الرومانسية بدأت تسرى فى أكثر اللغات الأوروبية فى القرن السابع الميلادى. هذه الكلمة مأخوذة من الأصل اللاتينى رومانتيكوس كانت تلقى على القصص المكتوبة باللغة العامية بأسلوب الكتابة الجديدة والتى لا تتبع القوانين الكلاسيكية. فى ذلک الوقت حين كان الأدب والفن مبنيا على المنطق أثر الرومانسية كان شيئاً عجيبا غريبا وبعد مائة سنة ظهر لهذه الكلمة معنى إيجابى لأول مرة فى اللغة الإنجليزية والألمانية ولإظهار "الجمال والإثارة" وبعد فترة أعطى هذا المكتب اسم الرومانسية فى فرنسا كما قام البعض باتباع كلمة الرومانسية. كان *غوته* يستخدم هذه الكلمة مقابل كلمة الكلاسيكية بنظره كانت الرومانسية أى شىء مريض والكلاسيكية مقابلها سالم وفى القرن الثامن كانت الرومانسية تشير إلى حالة نفسية خاصة.

المؤلفات العاطفية مثل الوطن والعشق والإشتياق(الوطن والعشق وذكريات الطفولة) ومن أهم مؤلفات الرومانسية المشهودة فى آثار وأفكار *صلاح عبدالصبور* و*عبدالوهاب البياتى*(هذان الشاعران المعاصران العراقيان). لذلک سنحاول فى هذه المقالة بالإستناد على منابع مثل مجموعة أشعار *بياتى* وديوان *صلاح عبدالصبور* أن نجيب على هذه الأسئلة:

١. هل تأثر صلاح وبياتى من بعضهما؟
٢. كيف كان انعكاس مؤلفات الرومانسية على أشعارهما؟
٣. أيهما تمكن من بيان مفاهيم عصره بنجاح أكبر؟

هذا البحث محاولة لإيجاد طريقة استخدام مؤلفات معنى الرومانسية فى آثار *البياتى* و*صلاح عبدالصبور*. لكن التشابه الفكرى لكلا الشاعرين يجعل الكاتب يدرس ويحلل استخدام المؤلفات المعنوية الثانية فى آثارهما.

سابقية التحقيق

بحثت أفكار كلا الشاعرين بشكل منفصل فى كتب ومقالات ولكن لم تجر مقارنة علمية بينهما حتى الآن. فمنها «نقد الأسلوب اللغوى "بكائية إلى شمس حزيران" عبدالوهاب البياتى» من *على نجفى أيوكى* و*سيد رضا مير أحمدى*.

«بحث تطبیقی لمفاهیم کلمة اللیل فی أشعار عبدالوهاب البیاتی ومهدی أخوان ثالث» من *عباس عرب* و*معصومه تقی پور*. «بحث شعر محمد رضا شفیعی کدکنی وعبدالوهاب البیاتی من ناحیة الأدب المقارن» من *ناهدة فوزی* و*مریم أمجد* و*کبری روشنفکر*. کذلک «الهرب فی شعر صلاح عبدالصبور» من *علی نجفی أیوکی* و*طاهرة تازه مرد*. وکذلک انتشرت «الواقعیة الاجتماعیة فی شعر صلاح عبدالصبور» من *حسن گودرزی* فی هذا البحث نستفید من أسلوب التحلیلی الوصفی وعلی هذا الأساس نبحث ونحلل هذه المقالة بعد التعرف علی *البیاتی* و*صلاح عبدالصبور* والتوجهات الفکریة لهذین الشاعرین العملاقین فی المعانی.

نظرة إلی المکتب الأدبی الرومانسی

منذ أواخر السابع والنصف الأول من القرن الثامن المیلادی أصبح ضحیة تغییرات عمیقة للوضع الاجتماعی وأفکار الناس العامة. وجد الأوروبیون أن اللغة الأدبیة للمکتب الکلاسیکی قالب الأفکار الأدبیة والفنیة للکتاب الیونانیین والروم القدماء غیر قادر علی عکس ونقل أفکار ومکنوناته والطریقة الکلاسیکیة المبنیة علی تقلید الکتاب التقلیدیین الذی یمنع حریة الفکر والأدب. ولذلک سعوا إلی إیجاد تغییرات فی کیفیة الإحساس والذوق الفنی وطریقة التخیل(فان تیجم، ١٣٧٠: ٥٧ و٥٨).

فی الحقیقة الرومانسیة نهضة فلسفیة وأدبیة فی مجال الأدب للتأکید علی غلبة الإحساس والتخیل علی الإحساس والتعقل وینادی للحریة الفنیة المطلقة من القیود الشعریة من ضمنها القیود العروضیة. إن ظهور هذا المکتب الأدبی یعود إلی الخلفیة الاجتماعیة المتنوعة من بینها تبدیل نسیج المجتمع الأوروبی من شکله الفیودلی إلی البرجوازی وانتصار الثورة الفرنسیة الکبری وتأثیرها علی الکتاب وانکسار من العقلانیة(داد، ١٣٨٢: ٢٤٤).

أصول المکتب الرومانسی هی:

١. الرومانسیه مکتبة الحریة فی الفن یستطیع الأدب والفن أن یحول أی موضوع فی الحیاة سواء جمیل أو قبیح عالی أو متدنی. من الشعارات التابعة لهذا المکتب حریة التفکیر والبیان.

٢. الفردية: من المميزات البارزة للآثار الأدبية الرومانسية فی قالب الشعر والرواية استخدام المكرر لكلمة أنا ونفسی. لبيان مختلف للشعر والنثر فی حيز المكتب الرومانسی وسيلة لبيان الحب والعلاقة الفردية والآلام وبشكل عام الأحاسيس الداخلية للشاعر أو الكاتب.

٣. التشويق والشعور: فی هذا المكتب يعد إبراز العواطف الشخصية أصلا من أصوله وبناء على عقيدة الرومانسيين ليس للعقل والمنطق مكان فی الفن وهذا الشعور يسيطر على روح البشر(سيد حسينی، ١٣۶۶ش: ١٨٠).

۴. الهرب والسياحة والسفر: التأذی من المكان والزمان الموجودين والهرب باتجاه أزمنة أخرى من مشخصات آثار الرومانسية. فی النظرة الرومانسية يجب الهرب من اليأس والتضايق والحزن والاكتئاب. الهرب إلى الخيال والماضی والفرار إلى أراض بعيدة.

۵. الكشف والشهود: يسعى الرومانسيون وراء الأشياء المجهولة والموضوعات الجديدة الكشف والشهود الذين يوجدون رابطة مع المتافيزيقية وعالم ماوراء الطبيعة من أهم خواص الرومانسية(اليوت، ١٣٧۶ش: ٢٧۵).

۶. الميل إلى الطبيعة والوطن: يعشق الرومانسيون الطبيعة ويعتبرونها من أهم أصول فن الرومانسية الوحدة والتماسک فيقول الرومانسيون «الشعر تعبير عن وحدة وعطف الحواس مع الطبيعة، الشعر لغة الجاذبية. هدف الشعر تأثيرات متقابلة بين الحواس وآثار الطبيعة وهدفه إيجاد الصبر والهدوء»(اليافی، ١٩٨٣م: ١٠٨).

عندما سنتابع تعداد أصول مكتب الرومانسية وتعريف الشاعرين سنبحث بعض المؤلفات الرومانسية السفر الجغرافی(الوطنية) الهيجان وإحساس الحرية والحب والشوق فی آثار كلا الشاعرين العربيين المعاصرين *البياتی* و*صلاح عبدالصبور*.

سيرة حياة صلاح عبدالصبور

من بين شعراء ما بعد الحرب العالمية الثانية أی مؤيدی التجدد فی مصر *صلاح عبدالصبور* من أكثر المعروفين وتكمن أهميته فی شيئين يعد ممثل الشعر الحر فی مصر ويعتبر من أنجح المجربين فی الشعر الدرامی(كدكنی، ١٣٨٠ش: ٢٢٩). *صلاح عبدالصبور* شاعر وكاتب مسرحی ناقد وكاتب عربی كبير معاصر ولد بين أواخر براعم الربيع التی كانت تطاير فی وسط حر الصيف فی قرية الزقاقيق بمصر فی عائلة متوسطة مثقفة كانت

ولادته تشبه العرس لأنه المولود الأول لوالديه اللذان كانا يحلمان بالكثير لمولودهما (بيضون، ۱۴۱۳ق: ۱۴). كانت طفولته هادئة ومرفهة. وعالم طفولته كان مختلفا فلم يكن مشغولاً باللعب والصراخ مثل بقية أقرانه بل كان هذا الولد الهادئ يحب المطالعة والدراسة. فی تشكيل شخصية أمه وأبيه وبالأخص جدته التی كان لها الدور الأكبر(نفسه: ۱۶ و۱۷).

درس *صلاح* فی زقايق من المرحلة الابتدائية وحتی الثانوية ثم التحق بجامعة الآداب وتابع دراسته هناک حتی عام ۱۹۵۱ وبعد تخرجه قام بتدريس اللغة العربية وأصبح الكاتب الأدبی فی مجلة «روز اليوسف» و«صباح الخير» وجريدة «الأهرام» بالإضافة إلی المسؤوليات المهمة التی كانت علی عاتقه التی كان من ضمنها مدير نشريات مجمع الكتاب المصريين ومشاور وزير ثقافی سافر بدعوة من جامعة هاروارد للمشاركة فی مؤتمر فی أمريكا وزار بعض البلدان مثل انكلترا وفيليبين ويوكسلاوی(اليسوعی، ۱۹۹۶م: ۸۷۶). تعود أول فعالياته السياسية إلی المرحلة الثانوية عندما التحق بجماعة الإخوان المسلمين خدم بعنوان عضو فعال فی الأمور الدينية والسياسية لمدة سنتين لهذه الجماعة وأصولها وعقائدها. بعد التعرف علی آثار كتاب مثل *العقاد*، و*طه حسين*، و*موسی سلامة*، وجد أن جماعات كهذه قائمة علی الدين غير قادرة علی الإصلاح الاجتماعی ولم يجد طريقاً أفضل إلا بقراءة كتب قادة الفكر *كطه حسين* والآخرين وبعد الانفصال عن هذه الجماعة وصل إلی قناعة ضرورة فصل الدين عن السياسية وأن مبادئ الدين قادرة علی إصلاح الأخلاق لا أكثر(بيضون، ۱۴۱۳ق: ۲۰ و۲۱).

وفی عام ۱۹۸۱م توفی هذا الشاعر بشكل مؤلم بسبب الضغط السياسی من أهم آثار *صلاح عبدالصبور* مجموعة أشعار الناس فی بلادی، الفارسی القديم ومسرحيات «مأساة الحلاج»، و«مجنون ليلی»، و«أميرة تنتظر»(أسوار، ش۱۳۸۱: ۵۴۷).

سيرة حياة عبدالوهاب البياتی

ولد *عبدالوهاب* فی بغداد لعائلة فقيرة فی مجتمع تقليدی ومنذ ريعان شبابه جذب إلی الأدب العربی المعاصر ومنها آثار *جبران خليل جبران* و*طه حسين* بعد إنهاء الثانوية تلاطمته مشاعر الفراغ والسراب والضياع وليهرب من أزمة فقدان الهوية التحق بالكلية العسكرية، ولكن بعد بضعة أشهر تركها لعدم انسجام أفكاره مع الجو العسكری وفی سنة

۱۹۴۴م قبل فی جامعة العلمیة العلیا وتابع دراسته الثانویة والجامعیة فی نفس المدینة وتخرج من کلیة اللغة العربیة والآداب سنة ۱۹۵۵م انتشر أول دیوان له «الشیاطین والملائکة فی نفس السنة اشتغل معلم مدرسة ثانویة وسنة ۱۹۵۴م انتشر أثره دیوان «أباریق مهشمة» وآثار أخری. *البیاتی* من الشعراء الواقعیین والأدباء الذین تمکنوا من عرض شعرهم بصورة مباشرة کحدیث إنسان لإنسان ومحب لمحب فکان یعلم تماما أن قراءه سیتلقون شعره علی أنه کلام إنسان محب فقیر یعشق الحیاة والعدالة والجمال والخیر ویقود الإنسان إلی حب الحیاة(صالح، ۱۹۸۶م: ۲۱-۲۱) لا یجب غض النظر عن دور التیار الیساری السیاسی فی ازدیاد شهرة *البیاتی* کما أنه استفاد من تیار الیساری المتفتح کمنصة للوصول إلی الشهرة(الصائغ، ۱۹۷۸م: ۸۲).

تصویر الحب فی شعر عبدالصبور وعبدالوهاب البیاتی

الف. تصویر الحب فی أفکار صلاح عبدالصبور

الحب ظاهرة صافیة ومخفیة عن اتحاد البشر لا یرتبط الإنسان بمن حوله بطریقة سطحیة وتصادفیة وبتفکیر داخلی بحت ولا یتحمل الوحدة، فالحب یفعم روح الإنسان والحب منبعه الأصلی یکون الحب أحیانا شاملا وقابلا للتعمیم وکأنه قابع بدل الطموحات والآمال(مختاری، ۱۳۷۲ش: ۲۶۴).

یؤکد الشاعر بتکرار کلمة «الحب» فی قصیدة «أعلی من العیون» أن ما یربط القلوب هی السکینة والهدوء والأمل والعشق هدیة من الله عز وجل للإنسان.

«الحب یا حبیب أغلی من العیون/ صونیه فی عینیک واحفظیه/ الحب یا حبیبی ملیکنا الحنون/ کونی له مطیعة سمیعة/ الحب یا حبیبی هدیة الحیاة لی ولک»(عبدالصبور، ۱۹۹۸م: ۲۴۱)

فی قسم آخر لهذه القصیدة تعتبر المحبوبة رمز الحیاة ومصدر السکینة والافتخار وادامة الحیاة والنشاط والمحبوبة عنده ملجأ وبرجاً عصیماً یحدد فیه العشق مصیراً مشرقاً وبنظر الشاعر فالقدر مدین للعشق الحقیقی والواقعی للرجل تجاه المرأة التی تجد السکینة والهدوء والحقیقی بوجودها معه.

«عیناک عشی الأخیر/ أرقد فیهما ولا أطیر/ هدیهما وثیر/ خیرهما وفیر/ وعندما حط جناح قل النزق/ بینهما، عرفت أننی أدرکت/ نهایة المسیر»(همان: ۲۳۴)

إن دور المحبوب فی آثار *صلاح عبدالصبور* هو البطل المنقذ الذی یمنح الحیاة فیلجأ الشاعر فی قصیدة «بحر الحداد» إلی الحیرة والضیاع والظلام والاضطراب لتسکین الألم ویشرع بالفضفضة له لیهدأ:

«اللیل یا صدیقتی ینفضنی بلا ضمیر/ ویطلق الظنون فی فراشی الصغیر/ ویثقل الفؤاد بالسواد/ ورحلة الضیاع فی بحر الحداد»(عبدالصبور، ۱۹۹۸م، ج۱: ۷)

یعتبر الشعراء الآخرون الحب جزء لا یتجزء من أشعارهم فتعریف *جبران* للحب هو کهذا: «المحبة لا تعطی إلا نفسها ولا تأخذ إلا من نفسها، المحبة لا تملک شیئاً ولا ترید أن یملکها أحد لأن المحبة مکتفیة بالمحبة»(جبران خلیل جبران، ۱۹۹۲م: ۸۶).

یعتقد *جبران* أن الحب لا یأتی بالمرافقة والمعاشرة بل یأتی من التفاهم الروحی: «ما أجهل الناس الذین یتوهمون أن المحبة متولدة بالمعاشرة الطویلة والمرافقة المستمرة. إن المحبة الحقیقیة هی ابنة التفاهم الروحی وإن لم یتم هذا التفاهم بلحظة واحدة لا یتم بعام ولا بجیل کامل»(نفسه: ۹۲).

یعتبر *صلاح عبدالصبور* الحب فی أشعاره ملجأ آمن ومطمئن ویلوذ بالعشق من المصاعب والمشکلات ویعتبره سبب الحیاة ویؤمن بأن الإنسان لا یحیی إلا بالحب.

ب. تصویر الحب فی أفکار البیاتی

من أبرز مزایا الشعر الرومانسی العشق وسرود الغزل لأن المعشوق من مظاهر الجمال لذلک فإن نظرة الشاعر الرومانسی الباحث عن الجمال تجذب القارئ. أی نوع من الفراق والبعد عن المحبوب تؤدی إلی توقد حسرة الشاعر عندما یحس *البیاتی* أن نار العشق ستنطفئ یحاول إیقادها مجدداً.

یا بقایا الحَبیبِ عاد رَبیعی فاستفیقی و ایقظَ اعراقِی
ذوبی هذه الثلوجُ وطوَّفی کالفِراشِ المحمومِ فی آفاقِی
والهَوی والربیع عادا فعُودی بسماتٍ فی خضرهِ الاوراقِ

(بیاتی، ۱۹۲۶م، سفر الفقر والثورة: ۲۸)

یشبه *البیاتی* الحب والمحبوب "بالعطر الأحمر" الذی یحرم الشاعر النوم وعلی الرغم من ذلک فإن الشاعر لا یشتکی:

«يا شعرَها الأحمَر! يا وردة/ ارق ليلَى عطرُها الأحمَر/ قلبِى شِراعٍ حائرٍ واحـفٌ/ أطبقَـت أجفَانِى وأينَ الكَرى/ وأنتَ فِى أعماقِها تَسهَر»(بياتى، ۱۹۹۵م: ۶۰)

الحب عن *البياتى* كالربيع الذى يمنحه السعادة والنشاط ويخلصه من الجمود والصـمت لذلک يصف لنا تأثير الحب ويذكر الخيالات وذكريات الحب المريرة التـى تحزنـه وتصـيبه بالأسى، وتطفئ نار الحب الذى يكاد يخمـد علـى الـرغم مـن وجـود محبوبتـه وذكريـات جمالها.

يـــا بَقايَـــا اللهيـــبِ فِـــى اعمَـــاقِى ثـــورةُ اليـــاسِ اطفـــآت اَشـــواقِى
وثلـــوجُ الحِرمـــانِ ذابَـــت بِروحِـــى وجَـــرَت فِـــى دَمِـــى نَشـــيشُ ســـواق
وخيـــــالاتِى التـــــى الهبَتنِـــــى فِـــى صَـــبايِ المجنـــونِ شَـــدت وِثـــاقى
يـــا بَقايَـــا اللهيـــبِ فـــى اَعمـــاقِى مَزقِـــى مَزقِـــى شِـــراعَ انطلاقِـــى
ومـــن اليـــاسِ والرجـــا فَعُـــودى او تـــوارِى انِـــى عَلَـــى اليـــاس بـــاقٍ

(بياتى، ۱۹۹۵م: ۲۹)

يحاول *البياتى* أن يعيد الحب مع الحياة سوياً لهذا يصرخ بقوة لكى تقوم بقايا شـعلات الحب بتمزيق الغم والحزن. إن تكرير "مزقـى، مزقـى" للتأكيـد علـى خلاصـه مـن الغـم والحزن كما أنه يلعب دوراً هاماً فى خلق موسيقى أثناء انتقال التأثير النفسـى للغـم علـى القارئ.

البياتى شاعر رومانسى إلا أن *صلاح عبدالصبور* التجـأ إلـى العشـق الـذى يحثـه علـى الحياة والتنشط لأنه يعانى من الحزن لانطفاء شـعلة الحـب داخلـه التصـوير الـذى يعتبـر أجمل من تصوير *البياتى* وخاصة أن *البياتى* غارق دائماً بالاشتياق والبعـد عـن المحبـوب ويرى كل شىء بوصاله ولم يبتكر تصاوير كثيرة لذلک.

توصيف الوطن عند عبدالصبور

إن الشوق للوطن واحساس البعد عنه له تاريخ طويل فى الشعر العربى فنراه فى بدايـة الأشعار منوطاً بوصف الأطلال. نشأ الشعر الوطنى فى الأبيات المعاصـرة فـى بدايـة القـرن التاسع عشر الميلادى بعد هجوم *نابليون* على مصر ونما فى أشعار الشعراء الـذين اضـطروا

إلی ترک أوطانهم والهجرة إلی أمریکا الشمالیة بسبب الفقر والظروف الصعبة ما بعد الحروب الداخلیة.

بدأ الشعر الوطنی فی مصر علی ید أربعة شعراء(*رفاعة الطهطاوی*، *عبدالله ندیم*، *البارودی*، *واسماعیل صبری*) وکان لهم دور هام فی یقظة الشعوب وإشعال روح الکفاح وحث الناس علی النضال ضد الاستعمار والمستعمرین مما أدی إلی نفیهم وسجنهم. فکان وصف صلاح عبدالصبور للوطن بأنه برج بنته الشمس الذهبیة علی سطح صخری وزین القمر قمته وتهب علیه الریح ولکن یا أسفاه علی هذا البرج الذی سقط فی مستنقع الزمن وتهدمت أساساته:

«أبکی برجاً عریان الصدر المفتوح /الشمس... الوشم الذهبی علی المتن الصخری/ والقمر علی مفرقه العالی/ دیکُ الریح/ إیه، یا زمن التبریح/ البرج تهاوی فی مستنقعک الملحیّ/ ساقط فی الأوشال الدّبقة/ قائمتا البرج المجروح/ آه، یا وطن»(نفسه: ۳۶۰)

ویشبه *صلاح* الوطن بفرس یسابق إلی المعراج تزینه اللآلئ والمرجان ویصهل الفرس لیساعده فارسه ولکن یا حسرتا علی هذا الفرس الذی خانه الزمن وترکه إلی الدجالین الذین سلبوه جوهر عینیه وقسموه بینهم.

«أبکی مُهراً وثاباً مشدوداً فی درب المعراج إلی الله/ مُهراً بجناحین، الریشُ من الفضة/ والوشیُ، واللؤلؤ والیاقوت/ مُهراً یصهل ویحمحم/ ینتظر فارسه المعلم/ إیه، یا زمن الأنذال/ جاء الدجال/ الدجالان، العشرة دجالین، المائة، المائتان نزعوا الریش، سلبوا یاقوت الوشی/ واقترعوا، ثم اقتسموا جوهر عینیه اللؤلؤتی/ آه، یا وطن»(نفسه: ۳۶۱)

لم یترک *صلاح عبدالصبور* رمزاً من رموز الوطن إلا وبکی علیه أو مدحه حتی علم مصر لم یغب عن ذهنه بل وصفه فی قصیدة بعنوان «مرتفع أبداً» واعتبره أجمل شیء فی عینی الشاعر فهو خفاق عظیم محبوب عال ومهیب، وهو علم الحیاة بل والکون بأسره وهو رمز العلیة والحریة ویعتبر المصریون لحظة ارتفاع العلم أغلی لحظة فی حیاتهم لذلک بنوا تلة لیوضع علیها علمهم ویبقی مرفوعاً ویعتبرون قلوبهم زینته وجواهره، وهو أجمل وأشرف الأشیاء یضحک له الغروب وتظله الغیوم ویقبله القمر ویعانقه الشفق المدمی ویحرق المصریون أجسادهم لکی یبقی مضاء یبتسم مثل شخص آمل فی لیال الیأس ویناديه الشاعر قائلاً: یا علماً مفعماً بالشموخ:

«لترتفع، لترتفع، يا أيها المجيد/ يا أجملَ الأشياء فی عينیّ، أنتَ يا خفاق/ يا أيها العظيمُ، يا محبوبُ، يا رفيعُ، يا مهيب/ يا كلَّ شیءٍ كان فی الحياةِ أو يكون/ يا عَلَمی، يا عَلَمَ الحرية/ فداءُ تلک اللحظةِ المجيدةِ الثريَّة/ مضی إلی السكونِ من أحبابنا ألوف/ ليجعلوا قلوبهم تلاً من التُّراب/ يقوم فوقهُ العَلَم/ ليفتلوا عُروقَهم ساريةً مجيدَة/ يزينُ فرعَها العلم/ لينسجُوا أيامَهم ديباجةً خضراء ترف فيِ الهواء/ كوجهِک النبيل، يا علم/ ومن بياض المقلتين، حين تشخَصان للسماء/ تستمطرانِ فی ليالی اليأسِ بسمةَ الرجاء/ هلالُک الوسيمُ، يا علم/ فترتفع يا أشرفَ الأشياء/ أفديک صاعِداً الی السماء/ كطائرٍ منَ الجنانِ ينقُرُ السحابَ والأجواء/ لتضحکِ المساءُ لک/ سحابةٌ سخيةٌ تظلک/ والقمرُ الزاهی يُقبِّلُک/ والشفقُ المخضوب بالدماءِ يغسلک/ لنحترق علی المدی جسومَنا لکی تُنيرَ أنت» (عبدالصبور، ١٩٦٩م: ١٦٥- ١٦٤)

يشبه *صلاح عبدالصبور* الوطن بأسطورة حاكتها الشمس ينعكس فيها الجمال والضياء والطبيعة الخلابة والألوان المختلفة مثل مرآة وضعت قبالتها مرآة أخری تختلط فيها الألحان والموسيقی جميل وكبير فيه نهر أعلی التلة وزهور وعطور ولكن آه من الزمان الذی بدل حاله والحكام الظالمين الذين بددوا جماله الأسطوری ونهبوه:

«فابكی قصراً أسطورياً من جلوة ألوان/ تغزل حين تمد اليها الشمس المعطاء/ حاجتها من خيط النور الوضاء/ جلوة ألوان أخری،/ تتولد منها، ألوان، تمسح زرقتها أو خضرتها أو دكنتها فی صدر مرايا/ مائلة فی وجه مرايا/ يتجدد ايقاع الألوان علی إيقاع الموسيقی.../ الموسيقی تتولّد من طرقات الأنسام علی بلور الشرفات/ عطراً مختلطاً منسجماً، كالإيقاع/ جاء الزمن المنحطّ، فحط علی القصر الأجلاف/ جعلوه مخزن منهوبات، مبغی، مأخوره فرّت من آبها القصر الأسطورة آه يا وطنی»(عبدالصبور، الديوان(فصول منتزعة)، ج٣، بی تا: ٤٧١-٤٧٣)

«مصرُ الولود نمتکَ، ثَّم إستخلَفتکَ علی ذراها»(نفسه: ٣٦٤)

يتحدث *عبدالصبور* عن الأمجاد الماضية لإفهام عمق المقصود فيشبه الوطن بحضن الأم فيه أمن وأمان يمنحه الهدوء والسكينة لكنه حزين لأن وطنه بيد الحكام الظلام الذين دمروه وطن هو فی عينی *عبدالصبور* قصر رفيع وجميل.

توصیف الوطن فی شعر البیاتی

عبدالوهاب البیاتی فی شعر «موال بغدادی» یعتبر بغداد رمزاً للمدینة الفاضلة بالأخذ بعین الاعتبار الأصل المهم للمکتب الرومانسی الذی یرجع إلی الطبیعة ویمیل إلی حب الوطن، ویتأمل رؤیة سماءه النیلیة کدجلة وجداوله وجمیع مظاهر الجمال ویطلب جمیع أهل المدینة بحسرة واشتیاق:

«بغدادُ یا مدینةَ النجوم/ والشمسُ والأطفالُ والکرومُ/ والخوفُ والهمومُ/ متی أری سماءک الزَرقاء؟/ تنبِضُ باللَهفةِ والحَفین/ متی أری دجلةَ فی الخَریف؟/ ملتَهِباً حزین/ تهجُره الطیورُ/ وأنتَ یا مدینة النخیلِ والبکاءِ/ ساقیةً خضراءَ/ تدورُ فی حدیقةِ الأصیلِ/ متی أری شارعَک الطویلَ؟/ تغسلُه الأمطار/ فِی عُتمَة النهارِ/ وأعینِ الصغارِ تشرقُ بالطبیعةِ والصفاءِ/ وهم ینامونَ علی الرَصیفِ/ متی أری شَعبی!/ یا مدینةَ النجومِ/... یا وطنِی البعید/ لأجلِ عینیک أنا شریدٌ/ لأجل عینِیک أنا وحیدٌ/ فی هذه الدَوامةِ السوداءِ/ فی هذه الأنوارِ متی أری سماءک الزَرقاء ووجهک الصامد»(بیاتی، ۱۹۹۵م: ۲۵۴-۲۵۵)

إن الصمت لم یجعل القریة مظلمة مکدرة *والبیاتی* یستلذ فی ظلال الأشجار ویشکو إلی الله الغربة التی أسرته وأودت بشبابه وساقته إلی الهرم، فقد جف الدم فی عروقه وهان جسده ویقترب من الموت مع کل لحظة ویطلب من الله عند العودة إلی الوطن أن یعید له حیاته:

«مِن اسفلِ السلمِ نادیتک یا رباه/ جِلدی یساقِط فی الظلامِ/ شِعری شابٌ، طائرُ الشبابِ یَسِفُّ فی الضَبابِ منکسرَ الجَناح/ النسغُ فی العُروقِ والاوراقِ/ یجفُّ مثلَما یجفُّ الحبرَ فی الدَواة... رباه طالَت غُربتی رباه.../ اللیلُ طال وطالَت الحیاة/ فأینَ یا رباه/ شمسُک تُحیی الحَجَر الرمیمَ/ وتشعِل الهَشیم»(بیاتی، ۱۹۷۱م، الذی یاتی والذی لا یاتی: ۸۱)

الألفاظ الحزینة التی یستخدمها *البیاتی* فی أشعاره تنبع من أعماق الاستیاء والحزن والانکسار فی الحیاة. غم الابتعاد عن الوطن بالنسبة *للبیاتی* ثقیل جداً، فهم دائم التفکیر بموعد عودته إلی جنته الأرضیة. الأیام الجمیلة التی تمر کل لحظة أمام عینیه وبسبب هذا الخیال والأفکار یستخدم الکلمات التی یمکنها أن تصور ألم الفراق للمخاطب. *البیاتی* کأقرانه الشعراء العرب یعد الوطن المدینة الفاضلة ویئن بسبب الغربة والبعد عنه ویتحسر

دائماً على الحياة فى ربوع الوطن ويفكر بجمال الوطن كل يوم وكيفية النجاة من الغربة التى أمسكت بعنقه.

نتيجة البحث

ولد *صلاح عبدالصبور* و*عبدالوهاب البياتى* وترعرعا فى بغداد ولكنهما أجبرا على ترك مسقط رأسهما بسبب المشاكل السياسية والاجتماعية لكنهما لم ينسيا قط موطنهما وذكرياتهما ووصفوا الوطن فى أشعارهما بأجمل الأشعار.

كلا الشاعران كانا عاشقين ولكنهما لم يجربا الوصال لذلک فإن أشعارهما تفيض بالمشاعر والأحاسيس.

من القواسم المشتركة الأخرى التى يمكن ذكرها الغم والحزن لأن أفكارهما تعتمد على الأحاسيس والعواطف وينعكس فى أشعارهما الغم والأسى.

يمكن رؤية مؤلفات الاشتياق والرومانسية(الحب) بوضوح فى أشعارهما لذلک يمكن تصنيفهما مع الشعراء الرومانسيين والنوستالجيين ولكن ليس لمؤلفاتهما بل لأن أشعارهما مليئة بالأحاسيس والعواطف التى تبرز عمق الحزن والفراق.

إن أوصاف الشاعرين قريبة من بعضهما إلا أن بيان *البياتى* فى مؤلفاته متصل بالغم والصعوبات، ومن المحتمل أنها محبوكة وقاسية بسبب المشقة وضغط النفى الذى عاناه فى حين أن وصف *صلاح عبدالصبور* لطيفة ومليئة بالعواطف والأحاسيس.

على الرغم من وجود قواسم مشتركة بين الشاعرين إلا أنهما لم يتأثرا ببعضهما كثيراً ووصفا الوطن والمدينة الفاضلة والحب ببراعة.

پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

اسوار، موسی. ۱۳۸۱ش، **از سرود باران تا مزامیر گل سرخ**، تهران: انتشارات سخن.

الیوت، تی اس. ۱۳۷۵ش، **برگزیده آزاد در نقد ادبی**، ترجمه سید محمد دامادی، تهران: انتشارات علمی.

البیاتی، عبدالوهاب. ۱۹۲۶م، **سفر الفقر والثورة**، بیروت: دار الآداب.

البیاتی، عبدالوهاب. ۱۹۷۱م، **الذی یأتی والذی لا یأتی**، بیروت: دار العودة.

البیاتی، عبدالوهاب. ۱۹۹۵م، **الأعمال الشعریة**، بیروت: مؤسسة العربیة للدراسات والنشر.

توفیق بیضون، حیدر. ۱۴۱۳ق، **صلاح عبدالصبور**، بیروت: دار الکتب العلمیة.

جبران، جبران خلیل. بی تا، **المجموعة الکاملة لمؤلفات جبران العربیة**، بیروت: دار صادر.

داد، سیما. ۱۳۸۲ش، **فرهنگ اصطلاحات ادبی**، تهران: انتشارات مروارید.

سید حسینی، رضا. ۱۳۶۶ش، **مکتب‌های ادبی**، تهران: انتشارات نیل و نگاه.

شفیعی کدکنی، محمدرضا. ۱۳۸۰ش، **شعر معاصر عرب**، تهران: انتشارات سخن.

صالح، مدنی. ۱۹۸۶م، **هذا هو البیاتی**، بغداد: دار الشؤون الثقافیة العامة.

صائغ، یوسف. ۱۹۷۸م، **الشعر الحر فی العراق منذ نشأته حتی عام ۱۹۵۸**، بغداد: مطبعة الادیب البغدادیة.

عبدالصبور، صلاح. ۱۹۶۹م، **الدیوان**، بیروت، دار العودة.

عبدالصبور، صلاح. ۱۹۹۸م، **الدیوان**، بیروت: دار العودة.

عبدالصبور، صلاح. بی تا، **الدیوان؛ فصول منتزعة**، ج۳، بیروت: دار العودة.

مختاری، محمد. ۱۳۷۲ش، **انسان در شعر معاصر**، تهران: انتشارات توس.

وان تیژم، فلیپ. ۱۳۷۰ش، **رمانتیسم در فرانسه**، ترجمه غلامعلی سیار، تهران: انتشارات بزرگمهر.

الیافی، نعیم. ۱۹۸۳م، **تطور الصورة الفنیة فی الشعر العربی الحدیث**، دمشق: اتّحاد الکتاب العرب.

الیسوعی. ۱۹۹۶م، **أعلام الأدب العربی المعاصر**، بیروت: مرکز دراسات للعالم العربی المعاصر.

Bibliography

Asar, Moses, 1381, from the song of rain to the Psalm of Roses, Tehran, Sokhan Publishing.
Fiber, Na'im, 1983 Sh, Touro al-Soureh al-Fnayah al-Sha'r al-Arabi al-Hadith, Damascus, Electro-al-Arab.
Eliot, T.S., 1375, Selected Free in Literary Criticism, Translated by Seyyed Mohammad Damadi, Tehran, Scientific Publishing.
Al-Bayati, Abdul Wahhab, 1995, Al-Aim al-Shaeria, Beirut, Al-Arabiya Ledrasat and Al-Nashir Institute.
Al-Bayati, Abdul Wahhab, 1926, Travelolafar and al-Thawra, Beirut, Dar al-Dawab.
Al-Bayati, Abdul Wahhab, 1971, Ezhi Yati and Elazai Layati, Beirut, Dar al-'Aid.
Tawfiq Beyzoun, Hyder, 1413, M Salah Abdul Sabour, Beirut, Dar al-Kabul Al-Alamiyah.
Gibran Khalil Gibran, Bey Tailor, Almundao Aluminum, Lamulfate, Gibraltar Al-Arab, Beirut, Exported.
Dad, Sima, 1382, Literature Dictionary of Literatures, Tehran, Pearl Publications.
Seyyed Hosseini, Reza, 1366, Literary schools, Tehran, Nil and Shah publications.
Shafiei Kodkoni, Mohammad Reza, 1380s, Contemporary Arabic Poetry, Tehran, Sokhan Publishing House.
Saleh, Civic, 1986, Haza Hou Al-Bayati, Baghdad, Dar Al-Shuwin Al-Thakhafiyah al-Aameh.
Sa'gh, Yousef, 1978, Al-Sha'ir al-Hur al-Fahr al-Ja'far al-Naha'at, even public, in 1958, Baghdad, Muba'a al-Adib al-Baghdadiyeh.
Abdol Sobor, Salah, 1998, Al-Dyvan, Beirut, Dar al-Wade.
Abdol Sobor, Salah, 1969, Al-Dyvan, Beirut, Dar al-Odeh.
Beat Aladian; seventh seasons; c 3, Beirut, Dar al-Aydda.
Mokhtari, Mohammad, 1372 Sh. Alansan in contemporary poetry, Tehran, Toos Publishing.
Von Tigem, Flip, 1370, Romanticism in France, translation by Gholam Ali Sayar, Tehran, Bazm Mehr Publication.
Eliseo, 1996, Al-Adib al-Arabi al-Mousaer, Beirut, Center of the Islamic Republic of Al-Arafah.